جامعة ابن زهر أكادير
منشورات مختبر الأبحاث حول الصحراء






دراسات حول الجنوب والصحراء

تنسيق: د. أحمد المقري

جامعة ابن زهر أكادير
منشورات مختبر الأبحاث حول الصحراء



دراسات حول الجنوب والصحراء

تنسيق: د. أحمد المقري





انجز هذا الكتاب بدعم من جامعة ابن زهر باكادير في إطار دعم بنيات البحث داخل الجامعة

العنوان : دراسات حول الجنوب والصحراء

المؤلف/المنسق : أحمد المقري

تصميم الغلاف : أحمد المقري

الطبعة الأولى 2011

الإيداع القانوني: 2011 MO 1396

ردمك: 8-9489-1-9954-978

الطبع : دار أبي رقراق للطباعة والنشر/ الرباط

الهاتف : 83 75 20 0537 الفاكس: 89 75 20 0537



الفهرس

تقديم.. 7

امحمد احدى

القبائل الأمازيغية بالجنوب الشرقي المغربي

وعلاقتها بالمجال الصحراوي من القرن 16م إلى القرن 20م............ 11

احمد المقري

وحدات الكيل والقياس في اللهجة الحسانية :

مقاربة معجمية وصفية 37

محمد بوعجاجة

الاستيطان البشري للمغرب ما قبل التاريخ........................... 63

V a46906

القبائل الأمازيغية بالجنوب الشرقي المغربي وعلاقتها بالمجال الصحراوي من القرن 16م إلى القرن 20م

محمد احدى

كلية الآداب والعلوم الإنسانية-أكادير

كل مجال في تاريخ الإنسانية ينتج مجاله الخاص، وعلاقته إنتاجية والاجتماعية الخاصة حسب تطوره ومستواه التقني، الإنسان يعمل إذن على تنظيم محيطه وتغييره، لكن في المقابل فأن ذا الأخير بدوره يؤثر في الإنسان وفي أشكال حياته. ومن هنا تي جدلية المجال والمجتمع، فرغم تطور المجتمعات وتغيير أساليب ياتها وتقنيات إنتاجها يحتفظ المجال بهياكل تشهد على التأثيرات تبادلة بينه وبين الإنسان.

وكما هو الشأن بالنسبة لكافة المناطق الصحراوية وشبه صحراوية تعاني منطقة الجنوب الشرقي من صعوبة وقسوة وسط الطبيعي بسبب الظروف المناخية السائلة، فعلى مستوى طلق الصالح للزراعة، فإنه لا يمثل إلا نسبة ضئيلة من مجموع

الاراضي فهو عبارة عن أشرطة ضيقة تمتد داخل وديان المنطقة[1]،
بينما يشكل الرعي مجالا أوسع بحكم طبيعية نمط عيش السكان المتميز بالقلة وشظف العيش خصوصا أمام سنوات الجفاف والأوبئة وكانت بهذا الدورة الاقتصادية تتصف بقلة الإنتاج.مما أثر على العلاقة بين الرحل والمستقرين وعلى عدم استقرار بنيتها البشرية التي يرجع تشكلها إلى علة، عوامل تاريخية وإيكولوجية معقدة، إذ إنه بين الفينة والأخرى تقذف الصحراء وهوامشها بأعداد هائلة من الرحل وأنصاف الرحل نحو الواحات[2] بهدف الاستقرار بعدما تخلت عنهم السماء واكتسح القحط والجفاف مجالا تهم الرعوية أو بعدما سئموا حياة الترحال[3] وما تتطلبه من بحث مضن عن الكلأ ونقط المياه خصوصا بعد

1- أهمها وديان كيروزيز وغريس ودادس ودرعة.

2- أنظر بن بطوطة:تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الإسفار ص773-775.
ج 2ط 2 تحقيق الدكتور على المنتصر الكتاني مؤسسة الرسالة ببيروت 1975.
محمد حسن الوزان(اليون الافريقي): وصف إفريقيا ج 1و 2 الطبعة الثانية منشورات الجمعية المغربية للتأليف والترجمة والنشر ص.ص 60-62.
مار مول كار بخال: "إفريقيا ج3 ط. الثانية، منشورات الجمعية المغربية للتآليف والترجمة والنشر 1988 الرباط.ص ص 185- 186.

3- من الأكيد أن ظاهرتي الاستقرار والترحال معا تعتبران من السمات البارزة التي لازمت تاريخ الامازيغ بشمال أفريقيا منذ العصور القديمة.

الأزمة الاقتصادية الخانقة التي عرفتها هذه الهوامش الصحراوية نتيجة تحويل مسار الطرق التجارية الصحراوية من طرف الايبيريين نحو المحيط الأطلسي[4] وما ألحقه ذلك من أضرار بليغة باقتصاد والواحات من جهة وحياة القبائل التي كانت تقوم بحمايتها من جهة ثانية وخصوصا القبائل الصنهاجية[5] منها عبر الطريق المشهور الذي يعبر المنطقة ويربط السودان الغربي بالمراكز الحضرية لكل من المغرب والجزائر. فلقد استتبع سقوط إمبراطورية سونغاي في تسعينات القرن السادس عشر انهيارا تدريجيا لمدينة سجلماسة التي كانت حلقة الوصل بين الصحراء وباقي العالم الإسلامي.

وانطلاقا مما سبق فقد جعلت وضعية الجنوب الشرقي المغربي المنفتح على الصحراء بقبائلها الامازيغية عموما والصنهاجية خصوصا على اتصال وثيق بالتغيرات الجارية في تاريخ شمال إفريقيا أكثر من المجموعات التي كانت تسكن المناطق الجبلية القريبة من

---

4. للمزيد من التفاصيل أنظر:

HDA M'HAHED Structures sociales et économiques de Tafilalt aux 17 et 18 siècles : Le poids des relations avec l'Afrique noire-thèse doctorat. U I M, 1990

5. ذكرنها كل المصادر التاريخية الوسيطة بدون استثناء.

المدن[6]، وقد أدت معرفتهم الدقيقة للمسالك الصحراوية ونقط المياه إلى لعب أدوار طلائعية في تجارة القوافل[7] التي كانت تربط بين إفريقيا جنوب الصحراء وأسواق الشمال خصوصا قبيلتي إمسوفا[8] وأيت خباش[9]. هذا الدور الذي لعبه أجدادهم الصنهاجيين منذ العهد المرابطي على الأقل، وتقوى أكثر خلال فترة الدولة السعدية التي تزامن ميلادها مع بروز أكبر تجمع قبلي بالمنطقة المتمثل في تأسيس النواة الأولى لاتحادية أيت عطا. ومع تراجع وتدهور مكانة سجلماسة وانعدام نفوذ السلطة المركزية السياسية قل الأمن وذلك لمدة طويلة. وقد ذكرت لنا عدة مصادر هذا التدهور وهذه الاضطرابات خصوصا بعد وفود قبائل عرب بني معقل إلى المنطقة، حتى أن الوزان لايصف لنا منطقة أو قرية حتى يذكر أنها خربت على إثر حروب وفتن[10] فقد صاحب مجيء بني معقل "أعمل تخريب

[6]- روس إدان : المجتمع والمقاومة في الجنوب الشرقي.المواجهة المغربية للإمبريالية لفرنسية-1881-1912- ترجمة أحمد بوحسن منشورات زاوية.الرباط - 2006- ص 15.

- خاصة أنهم يتمتعون بقدرة فائقة في إرشاد القوافل التجارية بفبا في الصحراء مستعينين حركات النجوم:مار مول كار بخال-نفس المرجع- ص 184.

امسوفا من بقايا قبلية مسوفة الصنهاجية والتحق بحلف ايت عطا لاحقا.

يشكل ايت خباش وأيت امناص خمسا من ظمنة أخماس أيت عطا.

حسن الوزان.وصف إفريقيا نفس المرجع.

ونهب،بحيث لا يحصلون على معاشهم الامن اللصوصية ونهب الجيران[11]"، "فعفوا وكثروا وانبثوا في صحاري المغرب الأقصى وعمروا رماله وتغلبوا في فيافيه[12]" فلحكموا قبضتهم و"تملكوا بذلك قصور عديلة ذات نخيل وانهار،فتحولوا إلى أثرياء يسيطرون على برابرة الحقول[13]". كل هذا خلف حالة خطيرة بالواحات تجلت في انخفاض مستوى العيش وتزايد أيام المجاعات والأوبئة بفقدان التوازن الحاصل بين الجبل والواحات، مما أرغم سكان الجبال والصحاري إلى النزوح نحو الواحات وتكوين أحلاف للدفاع عن مجالاتها.

هكذا رشحت الأحداث السياسية من جديد مجموعة من القبائل الصنهاجية[14] لتقوم بدور فعال في توجيه الإحداث التاريخية

---

[11]- مار مول: نفسه ص106.

[12]- عبد الرحمان ابن خلدون:أخبار البربر.مؤسسة جمال للطباعة والنشر –بيروت-بدون تاريخ ص77.

[13]- مارمول. نفس المرجع السابق ص 109.

[14]- تمكنت هذه القبائل الصنهاجية أن تفرض وجودها بالمنطقة منذ فترة المرابطين حيث حلت محل العصبية الزناتية (الأمارة المدرارية) ويشير أ بو عبيد الله البكري أن المرابطيين قد ضبطوا أحوالها "بحيث وفروا الامن والاستقرار فأزدهر العمران وتعددت الأسواق والمتاجر الرابحة، أبو عبيد الله البكري المسالك والممالك . ص15.وقد ظل هذا الوضع على ما هو عليه حتى القرن 13م ببروز تيار المصامدة على مسرحالاحداث مقوضا الدور الريادي للقبائل الصنهاجية التي كانت بمثابة الخاسر الاكبر من هذا التحول الذي عرفه الجنوب المغربي.

بالهوامش الصحراوية لمغرب الجنوب الشرقي وذلك طيلة عهد العلويين الذي يستخذ في زمنه مدلول المخزن زخما قويا المتمثل في اتحادية ايت عطا بالأطلس الصغير واتحادية ايت يفلمان بالسفوح الشرقية للأطلس الكبير. فقد كانت لردود فعل هذه القبائل ذات الطبيعية العنيفة تأثير عميق على مصير المنطقة بآسرها، ولذلك فإن مكانتها في الإطار الاجتماعي والتاريخي بالجنوب الشرقي المغربي وهوامشه الصحراوية تستحق وقفة خاصة، فماهي أصول هذه القبائل الامازيغية التي شكلت هذه الأحلاف ؟

من الإشكاليات التي يواجهها البحث التاريخي في مجالاته المختلفة مسألة البحث عن الأصل، فقد تعددت الآراء في هذا الشأن وتضاربت سواء فيما يتعلق المصادر المكتوبة آو الرواية الشفوية،فالقليل من المحاولات الجادة والتي استهدفت البحث عن أصل قبائل أيت عطا[15] للكشف عن الغموض الذي يخيم حول أصل ونشأة هذا الحلف أرجعت نسب أغلبية قبائله إلى الأصل الامازيغي العريق في البداوة،يرعون الأغنام والماعز وكانوا مثل

[15]- لمزيد من التفاصيل أنظر مقالنا الموسوم.

AHDA M'AHMED : confédérations et pouvoirs régionaux : les Ait ATTA au sud est marocain, Dirassat N°7 1995.

الرحل الآخرين المجاورين لهم يوجهون قطعانهم شمالا نحو المرتفعات في فصل الصيف،ويوجهونها نحو عمق الصحراء في فصل الشتاء وكان البعض منهم يملك الجمل، فهم من صنهاجة (إزناكن) من الطبقة الثانية والثالثة حسب ترتيب ابن خلدون[16] الذي لم يذكر آيت عطا بالاسم،ويسمون أنفسهم بإمازيغن، ومن المحتمل أن تكون ضمنها بعض العناصر العربية المتحدرة من أصل معقلي مثل قبيلة أيت علوان[17] التي "تمزغت" تماما منذ مدة طويلة بتقاليدها وممارساتها، أوبني أمحمد التي إنضافت إلى الحلف في فترة لاحقة وترتبط ارتباطا وثيقا بفخدة آيت خباش. ويجدر القول[18] أن ابن عسكر العسقلاني قد أشار قبل دلك إلى أنه من القبائل الصنهاجية في الصحراء، لمتونة وكدالة ولمطة وتاركة وعطا[19]. وأدا سلمنا بوجود قبيلة عطا حسب هذه الرواية فإن ذلك يمكن تأويله بأن هذه القبيلة كان لها الفضل في لم شمل وجمع شتات القبائل الصنهاجية من جديد

16- ابن خلدون تاريخ البربر.نفس المرجع.

17- يشكل آيت علوان وآيت اسفول خمسا من خمسة أخماس اتحادية آيت عطا.

18- ابن عسكر العسقلاني: فقهاء مالقة واد ياؤها.م-خ-ع رقم 134 د ص 241.

19- يندرج هذا الصراع ضمن المنافسة التاريخية بين المجموعات الاثنية الكبرى (صنهاجة- مصمودة- زناتة) في تكوين الدول بالمغرب في الفترة الوسيطة.

بعدما عمتها المجاعة المصحوبة (الفترة الموحدية/المقاومة الأولى)

المرينية) على أن قد ظهر هذا الاسم للمرة الثانية في المصادر التاريخية تحت اسم إقليم إيطانا في كتاب "وصف أفريقيا" الذي نشر سنة 1672 م لمارمول كاربخال[20] بعد زيارته المنطقة في إطار حملات السعديين إليها سنة 1576م وحسب معلوماته فإن أهلهم هم مثل إقليم درعة ووصفهم بالشجعان ولهم فرسان قوية يطاردونها بالصبر لانعدام الشعير لديهم.

تعتبر شخصية بابا عطا الجد الأعلى لأيت عطا ورمزهم التاريخي وما تزال الذاكرة الشعبية والرواية الشفوية تتداوله إلى اليوم، فقد وجدت القبائل الصنهاجية في هذه الشخصية الأسطورية المفترضة الرجل القادر على تلبية تطلعات أمة رمزا، لكننا لا نعرف أي شيء عنه إلا ما جاءت به الرواية الشفوية في هذا الصدد ويعتقد أن بابا عطا كان مجرد مريد مخلص لمولاي عبد الله بن احساين المغاري بتامصلوحت بالحوز المراكشي[21] كما لا يستبعد أن

---

(20) مارمول كاربخال، نفس المرجع، ص 151.

(21) مولاي عبد الله بن احساين، دفين تامصلوحت المتوفى 1567 م وكان له بعض [illegible]

[illegible]

يكون احد أقاربه[22] ويوجد قبره بفم "تاقات نلكتاون" في المدخل الجنوبي لواحة فزواطة من وادي درعة. الأن شخصية دادا عطا هذه غير معروفة ويكتنفها الغموض لكنها تثيرا أسئلة كثيرة هل كان من خلال مشروعه قي توحيد آيت عطا يسعى إلى تأسيس إمارة قوية انطلاقا من الجنوب؟ هل كان يفكر في تأسيس هذه الأمارة المحلية على غرار أبي حسون السملالي بسوس أو إبن أبي محلي بالأطلس المتوسط؟ ولماذا تجاهلته الكتابات التاريخية التي تناولت فترة ما بعد وفاة المنصور الذهبي؟

وفي خضم هذه التساؤلات من المرجح أن دادا عطا ومولاي عبد الله بن احساين المتوفى سنة 1568 قد لعبا دورا هاما ومباشرا في تشكيل اتحادية ايت عطا مما يفسر تفضيلهم لعائلة وذرية هذا الأخير على الشرفاء ورجال الدين الآخرين اعترافا بجميله الذي منحهم بركته وكرمته حسب الرواية الشفوية التي تؤمنهم من نفوذ

[22]- هناك من يعتقد أن دادا عطا ليس مجرد مريد للشيخ عبد الله بن احساين وإنما احد أقاربه انظر:
Spillman les Ait Atta du Sahara et la pacification du haut Dra rabat- édition mancho 1936-p68.

المخزن[23] وضمن "تيزي إمقورن" الممر الضروري للاتجاه في مجال صاغرو وضد مرض الزهري ومنذ حصته في الغنيمة حيث مشرين في مجموع القصور العطوية ويخصص لهم قسط من كل متوج زراعي ورأس من كل مائة من الإبل والأغنام كل سنة.

المهم من هنا إن دور دادا عطا كلاف له عامل مهم في بلورة الميول المشتركة للقبائل الامازيغية والحاجيات المشتركة لها إلى الواقع الفعلي بعد أن كانت مجرد حلم ومن تمت تلبيتهم لمهمة أخرى أكثر واقعية تتمثل في البحث عن مجال أوسع لهم فاستغلت أحداث النصف الأول من القرن السابع عشر وما نتج من انهيار اقتصادي واضطراب اجتماعي وسياسي وانشغال السلاطين الأوائل من الدولة العلوية بمشاكل المناطق الشمالية فاندفعت في عملية غزو واسعة لمناطق الواحات والسفوح الجنوبية من الأطلس الكبير الشرقي محاولة إيجاد منفذ نحو سفوحه الغربية.فقد تكتلت هذه القبائل ونتج عنه ميلاد احلافية قوية تعتبر

---

[23]- هناك مقولة متداولة تجاه المخزن ومستخلصي ضرائبه ومفادها أن أحد العطويين رد على احد هؤلاء المبعوثين من لدن السلطان بما يلي : "وحق دادا عطا اللي ما عمرو عطا ما يعطي وخا اولي صاغرو وطا".

نموذجا فريدا للتنظيم القبلي في المغرب، استمرت حتى القرن العشرين مصدر فزع للسلطة المركزية وللقبائل المجاورة وللمستقرين على السواء.

أجمعت الدراسات الحديثة[24] بتأكيد من الرواية الشفوية على أن تأسيس هذه الاتحادية، قد تم أواخر القرن الخامس عشر الميلادي أو بداية القرن السادس عشر إثر وفاق حصل بين قبائل "أيت واحليم"[25] وايت اسفول[26] المنتجعة بجبل صاغرو[27] بالأطلس الصغير تم انضافت إليهم قبيلة أيت اعزى[28] لبناء مخزن جماعي سمي بإغرم أمزدار[29] لخزن الإنتاج ولمواجهة القبائل المناوئة، وهو نفس التنظيم الاجتماعي المتكون من ثلاثة قبائل الذي رصدناه في القرن السابع عشر الميلادي، تم بدأت قبائل أخرى من الهوامش الصحراوية تلتحق بالاتحادية كأيت انبكي وأيت ولال

24- David hart : segmentarg systems and the role of " five fifths " in tribal Marocco. Case II the A. Atta Rmm 1967.

25- أيت واحليم : يشكل هذا الفرع لوحده خمس أيت عطاء.

26- يشكل أيت اسفول وأيت علوان خمس الاتحادية.

27- جبل صاغرو: كتلة صخرية تشكل الامتداد لسلسلة الأطلس الصغير من جهة الشرق.

28- يشكل أيت اعزى وأيت الفرسي وأيت خليفة الخمس من خمسة اخماس أيت عطا.

29- يعتبر إغرم امزدار" المخزن الجماعي لقبائل أيت عطا بقلب جبل صاغرو وتسكنه في الفترة الحالية فخذات من أيت اسفول وأيت اعزى.

وجيوة وأيت عون الصحراوية [1]. فتشكلت منذ ذلك الوقت ما يسمى بخمس خمس أيت عطا وهو ما يعني أن تشكيل اتحادية أيت عطا يعتبر في واقع الأمر تعبئة حقيقية للقبائل الصنهاجية هذا التحالف كان موجها لتطويق الاتحاد وتوسيع مجاله من جهة و ضمه قبائل أخرى التي رأت في هذا الشكل وسيلة لتحقيق أهداف ومصالح مختلفة من جهة ثانية

وتتكون الأخماس من القبائل التالية

الخمس الأول: ويشمل قبائل :"أيت ولال "وأيت أونير" ويمتد مجالها إلى درعة وصاغرو وداخس وحتى تولحي واويزغت بوادي العيد

الخمس الثاني: خمس أيت واحليم" وتشكل هذه القبيلة الخمس لوحدها في الاتحادية وتنقسم إلى قبائل " أيت بويكنيفين و"إيت عيسى وإبراهيم"و"إلمشان"و" إكناون" وأيت حسو

---

[1]- أحمد البوزيدي: التاريخ الاجتماعي لدرعة مطلع القرن 17-20 دراسة الحياة الاجتماعية والسياسية والاقتصادية من خلال الوثائق المحلية. كلية الآداب الرباط ص 311 – 1986.

[2]- من الصعوبة بمكان الجزم بالتحاق كل القبائل الصنهاجية بصاغرا بدليل عدم وجود قرائن وأدلة تاريخية محصومة تؤكد على أن قبائلتي امسوفا وأيت علوان قد غادرتا فعلا هوامش درعة الجنوبية نحو المرتفعات في تاريخها.

وتجمع بصاغرو ودادس ودرعة وتودغة

الخمس الثالث يشكله "أيت سفول "وأيت علوان"

تتوزع بدرعة وتودغة والسفوح الجنوبية والشرقية لجبل صاغرو ودادس وتنغير.

الخمس الرابع ويتكون من قبائل أيت عزى " وأيت اعرمي" و"أيت خليفة" ويتركز معظم أفراده في تودغة وفركلة وأعالي دادس وواحتي درعة وصاغرو.

الخمس الخامس يضم أيت انبكي بقبائله أيت خيلش وأيت أو منصف وتمتد مضاربها إلى تافيلالت وصاغرو وكتنات والرتب بزيز والسفوح الشرقية بجبل صاغرو والصحراء بتافيلالت

ترعرع الاتحاد العطاوي الناشئ بهذا العدد الهائل من القبائل و"تحقق الهدف الذي أسس من أجله وهو القوة التي لا تقهر والردع العنيف لأهل الجنوب كافة بحيث لا تفرق فيهم بين أهل الخير وأهل الشر... وقد بدأت بعض الفرق تتخطى منطقة الاتحاد

متخلة طريق الهجرة الجماعية"[32] ومع حلول القرن17م كبرت الاتحادية وتجاوزت صاغرو وربما بسبب الجفاف المتعاقب الذي صاحبه النمو المستمر للسكان والماشية معا، وقد قوى هذا التوسع من تماسك القبيلة ضد الأجانب، وشجع تطور المؤسسات التي تخدم الوحدة السياسية والعسكرية، وبالخصوص انتخاب الرئيس الأعلى "أمغار نوفلا" عن طريق التناوب أو الانتجاع المتقاطع، وتوزيع حقوق الرعي على المجموعات القرابية الخاصة والمنتشرة في أقسام من الأراضي المنفصلة انفصالا كبيرا عبر تراب القبيلة.[33] فالتوسعات العطاوية إذا ارتبطت إلى حد بعيد بضيق مجال صاغرو العاجز عن استيعاب الانفجار الديمغرافي العطاوي.[34] والبحث عن مجال ضروري كمتنفس للحجم البشري الهائل الذي أصبحت هذه القبائل تتوفر عليه، واستطاعت بذلك الاتحادية أن تفرض نفسها

---

[32]- التقي العلوي:"اصول المقاربة، القسم البربري دور الاتحاديات الأطلسية" مجلة البحث العلمي - العدد 23 - 1974 - ص 121.

[33]- دان إدروس ، نفس المرج ص 81.

[34]- في سنة 1905 ولمي سؤال ل Segonzac عن تقسيمات ايت عطا واهميتهم العددية اجيب بان "الله وحده قادر على إحصاء ايت عطا، اما بلادهم فلا حدود لها من جهة الجنوب والشرق".

Maazouzi (M) : L'Algéric et les étapes successives de l'amputation du territoire marocain Casablanca 1976-p86.

بإحساسها بالوحدة والتضامن المعنوي ووحدة الفكر والتقاليد وبالتفوق الاجتماعي على باقي القبائل الأخرى الرحلية أو المستقرين لبسالتهم الحربية ولروحها الجماعية، مما أهلها أن تتوسع منذ البداية عن طريق الغزو والاحتلال بالقوة أو عن طريق التنقل السلمي لرعي الأغنام والإبل مع إقرارنا بالدوافع الانتقامية والثأرية[35] في بداية الأمر.

كان محاربو اتحادية أيت عطا يهاجمون في بعض المناسبات بحشود كبيرة من المحاربين تتكون من علة آلاف من الرجال، ولهم علمهم الخاص ذو اللون الأحمر ويحتفظ به "إغرم أمزدار" ومع ذلك فإن القوات الكبيرة لا تتجمع إلا في الحملاَت الخاصة، وتتفرق بمجرد ما تنتهي الحركة الرئيسية، وكانت تقوم في الغالب بالغارات على المجموعات الأخرى من الرحل وتستولي على ماشيتها أو تهجم على الواحات الصحراوية من أجل الثمور والغنائم الأخرى تم تسيطر عليها فيما بعد[36].

امتد نفوذ أيت عطا إلى مناطق نائية من الصحراء وبالأخص

---

[35]- على الأقل في محاربتها للقبائل المعقلية.

[36]- روس ا.دان نفس المرجع السابق. ص 82.

ذ تبنونت[37] وتيميمون وانضم ايت خباش ومجموعات أخرى من ايت اسفون وايت علوان في كثير من المرات للاعتداء على سكان توات، فقبل ١٨٧٨م كانت هذه القبائل قد أقامت معاهدات "الخاوة" مع عدد من القصور وقد ظهرت هذه العلاقات في بداية القرن بأنها قائمة حقا على المساواة والمصلحة المشتركة ولكن "لما وصل أيت خباش إلى المنطقة في ثلاثينيات القرن 19 أصبحوا يعيشون أوضاعا قاسية، فبدأوا بالقيام بالهجوم على القصور، ثم اضافوا إلى ذلك مطالبتهم السكان بالمال مقابل حمايتهم ... وكان معظم سكان القصور الذين يتعرضون لهذا الابتزاز يستسلمون لأداء إتاوة منتظمة حتى لا تنهب ديارهم أو يسقط نخيلهم على الأرض... وقد استمرت هذه الحالة إلى بداية الحماية الفرنسية"[38] امتد نفوذ أيت عطا أيضا نحو الشرق ليشمل مجمل الهوامش الصحراوية حول وديان كير وزير وفركلة وغريس وتودغة ودادس وباتجاه جنوب صاغرو بواحة درعة حتى مستوى خط عرض واحة

---

[37]- أنظر:

F. Dominique champault : une oasis du sahara nord-occideutal. Tablbela. C.N.R.S Paris 1969.

[38]-Martin (AG.P) : quatre siècles o.p cit. pp 124-125-147-153-287-288.

طاطا حيث فرضوا في بداية القرن العشرين على "إنا وبلال" أداء ضريبة سنوية، كما نجدهم خارج هذا المجال الصحراوي الواسع تجمعات بشرية مهمة بأعالي او سكيس ومسمرير بالأطلس الكبير وحتى نواحي واويزغت وازيلال وبولمان كيكو بالأطلس المتوسط وأيت ولال على مشارف مدينة مكناس، هي الأراضي نفسها التي يشغلونها حاليا والتي احتلت بالقوة خلال مراحل زحفهم من جبل صاغرو الموطن الأصلي لهذه القبائل، مستغلين العلاقة المتوترة بين السكان المستقرين والقبائل المعقلية السائدة (بني حسين، المنابهة...) في الواحات، فاستنجدوا بأيت عطا الذين ربطوا معهم علة اتفاقيات تكافلية لحمايتهم، ولقد كان صاحب العقود اللؤلؤية بارعا في تصوير تلك الأحداث الدرامية بقوله... . ولقد تسلطت عليهم عرب البوادي وفرقوهم [دراوة] شذر مذر فسفكوا الدماء ونهبوا الأموال وغصبوا القصور وقعدوا كل مرصد، ونصبوا حبائل المكر والغدر لكل أحد... وجاء بنو عطاء فقفوهم فيسوء فعلهم، وكل ما فعلا في صحائف أولئك بخير من سن سنة حسنة فله أجرها" [39] فكم من

39- محمد بن الحبيب التمنوكالي : مخطوط العقود اللؤلؤية في الأخبار الدرعية للفقيه.

قصر لجير انهم احتلوه قسرا فسكنوا فيه[40] وقد شبه جو ليان charles André julien توسعات ايت عطا بالتوسعات الجرمالية التي شملت جميع انحاء اوروبا في العصور الوسطى[41].

بدات اتحادية أيت عطا تمارس ضغطها نحو جهات أخرى منها سفوح الأطلس الكبير الشرقي لأن الأراضي والمراعي الخضراء كانت تمتد في ذلك الاتجاه.

وكان توسعهم عبر عدد من المنافذ نحو المنتجعات الصيفية سببا في مقاومة قبائل امازيغية أخرى سبقتهم إلى تلك المناطق منذ القرنين 15 و16م. وللوقوف في مواجهة الضغط الذي كان يمارسه أيت عطا على طول جبهة تقدر بأكثر من 250 كلم من وادي زيز في الشرق. إلى درعة العليا في الغرب تجمعت هذه القبائل في حلف جديد عرف فيما بعد بأيت يفلمان، وهو تجمع قبلي صنهاجي آخر شكل اتحادية فرضها خطر توسيع اتحادية أيت عطا نحو مجالته. ويعتقد Gouvreur كوفرور أن الحلف جاء نتيجة

[40]- المختار السوسي – المعسول – الجزء 20. مطبعة النجاح الجديدة الدار البيضاء 1961.

[41]- Charles A.Julien - . op cit.P 81.

الصراع المحتدم بين أيت حديدو[42] وايت مرغاد[43] من جهة وايت عطا من جهة ثانية حول مناطق الرعي والاستغلال.[44] ويعود تاسيس هذا الحلق حسب Bertrand إلى سنة 1644مـ ويعتقد بانه قبل ذلك التاريخ بأن الدلائيين عملوا على تقويته لمنع توسع السملاليين الذين حلوا بالجنوب الشرقي سنة 1603م وهي المرحلة التي ضم فيها الحلف أيضا على ما يبدو قبائل كروان وايت يمور[45]وأيت يحى[46]وايت إزدي[47]وايت سغروشن[48] وامام ضغط

---

[42]- قبيلة صنهاجية يغلب عليها طابع الانتجاع والترحال قبل ان تستقر باعالي الأطلس الكبير حول منابع أودية زيز وغريس ودادس والعبيد وملوية من أهم قبائلهم ايت ابراهيم وايت اعزى.

[43]- أيت مرغاد قبيلة صنهاجية كانت مواطنها الأصلية بامضفاس شمال امسمرير وبالضبط "باغنبو أمرغاد" وتوسعت نحو الجنوب الشرقي باستيلائها على أجزاء مهمة بمناطق غريس وفركلة حوالي القرن 18م.

[44]- Gouvreur (G) : la vie pastorale dans le haut atlas revue de géographie du Maroc n°13 Rabat 1968. p15.

[45]- كروان وأيت ايمور قبائل من الأطلس بعيدة كل البعد عن مجالات أيت عطا.

[46]- أيت يحيى: يعتبرون أنفسهم المؤسسون الأوائل لحلف أيت يفلمان كانت مضاربهم الأولى تقع بالمصب الجنوبي للأطلس الكبير بأعالي دادس ويظهر أنهم غادروا منطقة إمضغاس خلال القرن 16م نحو اغيلو نكردوس شرقا وتونفيت شمالا.

[47]- تمتد أراضيهم من نواحي جبل عياش مرورا بممر تيزي تلغمت" بالأطلس الكبير جنوبا حتى الرتب وذلك فهم يراقبون أكثر من 200كلم من الطريق الكبرى التي تتجه من فاس إلى تافيلالت وتسكن بعض قبائلها منطقتي كثير الغنيا وتونفة الغنيا.

[48]- تدعى هذه المجموعة أحيانا بأيت سغروشن الجنوب التي كانت منفصلة سياسيا ومجاليا عن أيت سغروشن الشمالية، تضاربت الآراء عن مشاركة هذه القبائل في المعركة ضد =

أيت عطا على شرق وجنوب مجال تواجد هذه القبائل أي أخرى
قبائل أخرى وخاصة أيت وفلا وأيت عياش.[49]

ما يمكن أن نستشفه من هذه التحديدات عن تأسيس الحلف
يرجع إلى حوالي 300 أو 400 سنة، وأمام تضارب هذه الفرضيات
فالعربي مزين حاول حصر الفترة التاريخية في ظهور اسم أيت
يفلمان ما بين سنتي 1596 و1645 بناء على مجموعة من المعطيات
التاريخية منها ورود اسمهم في أقدم وثيقة عثر عليها بزاوية أسول
مؤرخة ب 1055 هـ/1645م[50].

يتضح من خلال مجموعة من المصادر والمراجع،[51] مساهمة
المخزن في تقوية الحلف وهذه الحقيقة يمكن تفسيرها في أن هذا
التكتل المتمركز في الأطلس الكبير كان يراقب الممرات الجبلية
الرابطة بين جنوبه وشماله، حيث أثبت بأنه قد قام بدور فعال جدا

= أيت عطا لبعدها الجغرافي، وتقع أراضي الفرع الجنوبي منها في الأطراف المحادية للهضاب العليا المغربية ولذلك اعتمدت في معاشها كلية تقريبا على حياة الرعي.

[49]-LMOUBARIKI (M) : les résistances de sud-est marocain à la pénétration française 1908-1934..Thèse de doctorat Lyon 2 1990-1991- thèse inédite P82.

[50]- L.MEZZINE. op-cit.

[51]- انظر الناصري: الاستقصاء ج .9.

AHDA M'HAMED : structures sociales. Op cit troisième partie.

إن لم يكن قد وقف حاجزا حصينا دون التوسع العطاوي والتوغل عبر منافذ الأطلس الكبير ماعدا منطقة وادي درعة مثل جبل صاغرو مباشرة مما سمح لبعض أخماس آيت عطا بالتواجد بواويزغت وأزيلال (أيت عطا نومالو) علما بأن الربط بين الواجهتين أصبح ضروريا منذ وصول الشرفاء العلويين إلى السلطة ومن ثم احتواء وتشجيع التجمع اليافلماني من شأنه أن يسمح للجيش المخزني بنوع من الاستقرار وادخار الجهد هذا من جهة، ومن جهة ثانية فتقوية الحلف يعني في نهاية المطاف حياد نسبة كبرى من سكان المنطقة. وتوازن الحلفين الأساسين في الجنوب الشرقي المغربي سيراقب كل واحد منهما الآخر مما سيوفر للسلطة المركزية نوعا من الاطمئنان على الأقل من الخطر العطاوي وحصره بالمناطق الصحراوية الهامشية التي بقيت في معظم الأوقات خارج دائرة نفوذ السلطة المركزية في مستوى المراقبة المالية والسياسية رغم اعترافها بالسلطة المعنوية للسلطان ولكنها كانت تتجنب دفع الضرائب والخضوع المباشر للإدارة المركزية أو المساهمة في خدمة جيوشها ما لم تجبر على ذلك[52] فبقي السكان في

52- فقد قام اثنان من السلاطين (مولاي إسماعيل ومولاي الحسن I بحملتين واسعتين =

شكل تجمعات قبلية وقرى واحية مستقلة عن سلط الحكم المخزني وفي الغالب مستقلة عن بعضها البعض إلى أن أقر نظام الحماية[53]

بظهور الفرنسيين على مسرح الإحداث هبت القبائل الامازيغية المنتمية للحلفين السابقي الذكر لمقاومته حيث لعبت أدوارا طلائعية في محاربة المحتل منذ أواخر القرن 19 بتيميمون وتوات وتيدكلت بعمق الصحراء وخاصة قبائل أيت خباش[54] التي تضررت من هذا الوضع فتزعمت مقاومة عنيفة شاركتها قبائل أخرى من آيت سغروشن(آيت حمو) إعداء الأمس واستيلت من أجل الحفاظ على كرامتها واستقلالها وحريتها لذلك واجهت المحتل الفرنسي بفرقه المتفوقة عددا وتنظيما فكبدته خسائر فادحة قبل إن يتم إخضاعها ولأول مرة في تاريخها الطويل للسلطة المركزية سنة 1933 إثر معركة بوكافر ووادي نون بعد ذلك في سنة 1934 .

= لإخضاع تلك المناطق لسلطتها غير أن هذه المجهودات التي بذلت لتركيز السلطة المركزية لم يكن لها إلا اثر عابر.

[53]- روس ا. دان المرجع السابق ص 17.

[54]- أنظر فيما يخص مقاومة قبائل ايت خباش للاستعمار الفرنسي: محمد بوكيوط. مقاومة الهوامش الصحراوية للاستعمار (1880-1938) صفحات مجهولة من صمود قبائل التخوم الشرقية من تافيلالت إلى واد نون مطبعة فيدبرانت الرباط-2005.

فقد استمرت هذه الحركة النضالية أكثر من ربع قرن جندت فيه القبائل كل طاقتها وجهودها لمحاربة المستعمر الذي أدرك هذه الحقيقة منذ بداية توغله في المغرب فحاول دون جدوى استمالة هذه القبائل الامازيغية، بتعيين قواد عملاء يخدمون مصالحه أو باستعمال العنف بعزل المنطقة والاستيلاء على مقومات حياتها اليومية.

ويقول جورج سبيلمان في هذا الصدد "فقد أظهرت لنا المقاومة التي قامت بها في صاغرو فرقة صغيرة انتزعت إعجابنا الصعوبات الخارقة التي سنصطدم بها لو لم يفكك نشاطنا السياسي الماهر خلال سنوات عديدة الاتحادية وكسب الخضوع من معظم عناصرها... وقد أظهرت هذه الفرقة من متمردي ايت عطا الخطر الذي يمكن أن تمثله حملة كبيرة للاتحادية".

وفي الختام يتضح جليا مدى تأثير العناصر الإقليمية التي حددت تكوين اتحاديتي ايت عطا وأيت يفلمان الصنهاجيتين إبان ألازمة العامة التي ضربت المغرب والهوامش الصحراوية منه في القرنيين الرابع عشر والخامس عشر بانهيار تجارة القوافل وسيطرة بني معقل علي الواحات محاولا إعادة النظر في الروايات التي سبقت إن درست أصول هذه القبائل والظروف العامة التي

ساعدت على تكوين [illegible] نوعها.
وتفاعلها مع المجال الصحراوي في كل جوانبه وأبعاده وتطوره الزمني والمكاني والدور التاريخي الذي لعبته هذه الاتحادية في تغيير الأوضاع السياسية والاقتصادية والثقافية لتلك المناطق.

البيبلوغرافيا

المختار السوسي: المعسول. الجزء 20. مطبعة النجاح الجديدة الدار البيضاء 1961.

ابن بطوطة: تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الإسفار، ج 2. ط 2 تحقيق الدكتور على المنتصر الكتاني : مؤسسة الرسالة بيروت. 1975 .

عبد الرحمان ابن خلدون : تاريخ ابن خلدون.الجزء السادس. مؤسسة الإعلام والمطبوعات– بيروت– 1971

محمد حسن *الوزان* (ليون الإفريقي) : وصف إفريقيا.ج 1و2 الطبعة الثانية. منشورات الجمعية المغربية للتأليف والترجمة والنشر.1982.

مار مول كار بخال: إفريقيا. ج3 ط الثانية. منشورات الجمعية

المغربية للتأليف والترجمة والنشر. الرباط.1989/1988.

محمد بن لحبيب التمنوكالي : مخطوط العقود اللؤلؤية في الأخبار الذراعية.

التقي العلوي : "أصول المغاربة. القسم البربري، دور الاتحاديات الأطلسية" مجلة البحث العلمي. ماي غشت. 1974 العدد 23. الرباط.

محمد بوكيوط : الهوامش الصحراوية للاستعمار (1880/1938) صفحات مجهولة من صمود قبائل التخوم الشرقية من تافيلالت إلى واد نول. دار أبي رقراق. الرباط 2005.

بن محمد قسطا ني: الواحات المغربية قبل الاستعمار:غريس نموذجا. منشورات المعهد الملكي للامازيغية . الرباط. 2005.

أحمد البوزيدي : التاريخ الاجتماعي لدرعة (مطلع القرن 17–20) دراسة في الحياة السياسية والاجتماعية والاقتصادية من خلال الوثائق المحلية. أطروحة بكلية الآداب والعلوم الإنسانية الرباط.1986.

BIBLIOGRAPHIE

AHDA M'hamed : structures sociales et économiques du Tafilalt aux $17^{ème}$ et $18^{ème}$ siècles : le poids des relations avec l'Afrique noire (Bilad es-soudan). Université Toulouse le Mirail 1990.

AHDA M'hamed : confédérations et pouvoirs régionaux : les Ait Atta du sud est marocain- revue Dirassat N°7 1995

AHDA M'Hamed M confédérations et pouvoirs régionaux : les Ait Atta et les Ait yaflman du sud est marocain. Revue Dirassat N° 10. 2000.

Bertrand André:Les tribus berbères du haut Atlas copyright 1977-édition Lazarus.

CHAMPAULT. F. dominique. Une oasis du sud nord occidental. Tablbala. C.N.R.S. Paris 1969.

GOUVREUR (g):« La vie pastorale dans le haut atlas central ». Revue de géographie du Maroc N°13 RABAT 1968

HART (d): segmentary systems and the role of « five fifths » in tribal Morocco. Case II the A.Atta. Revue O-M.M N°3 1967.

HURE (A) : La pacification du Maroc, dernière étape 1931-1934 Ed.berger. Levrault.paris 1952.

MAAZOUZI (M) : L'Algérie et les étapes successives de l'amputation du territoire marocain Casablanca- 1976.

MARTIN(A.G.P) : quatre siècles d'histoire marocaine. Félix Alcan. paris.1923

MEZZINE Larbi : Le Tafilalt, contribution à l'histoire du Maroc au $17^{ème}$ et $18^{ème}$ siècles. Imp. Najah El-Jadida- casablanca.1987

LMOUBARIKI (M) : La résistance de sud est marocaine à la pénétration française.1908-1934 thèse de doctorat d'histoire. Lyon-2. 1990-1991

SPILLMAN (G) : Les Ait Atta du Sahara et la pacification du haut Dra. moncho.1986.rabat.